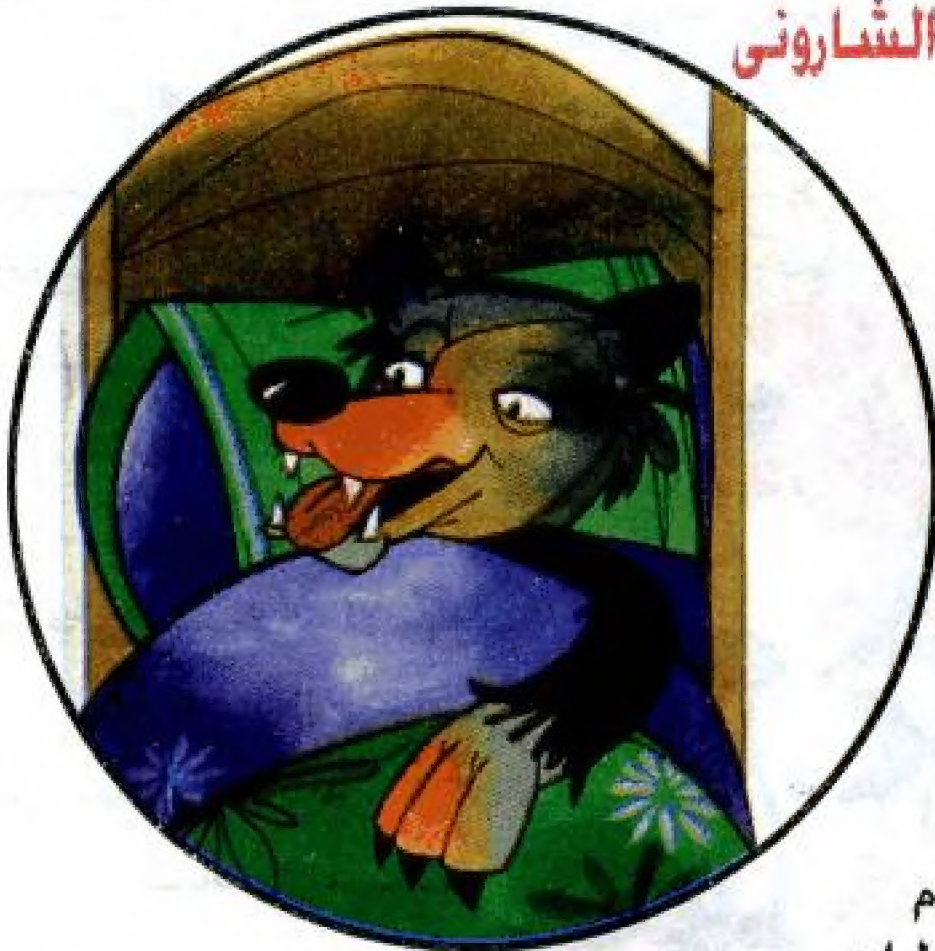


ألف حكاية وحكاية (٨٣)

# مصباح أمام كل بيت

وحكايات أخرى

تأليف  
يعقوب الشاروني



رسوم  
عادل البطراوي

مكتبة مصر  
٣ شارع كامل صدقي  
الغزالة - القاهرة



## "مصر" بقطرات من دماء الأطفال

كُنَّا ١٢٠ من الفتيات والفتيان ، أعمارنا ما بين ١٢ و ١٥ سنة ، حمل كل واحد منا وردة ، وقد انصهرت مشاعرنا ، فأصبحنا كأننا شخص واحد ، حتى إن كل فرد منا ضغطَ بظرف إبهامه على شوكة من أشواك الوردة التي يحملها ، وبقطرات من دماننا ، اشتر كنا في كتابة اسم "مصر" على الراية التي معنا ، ورفعناها عاليًا .

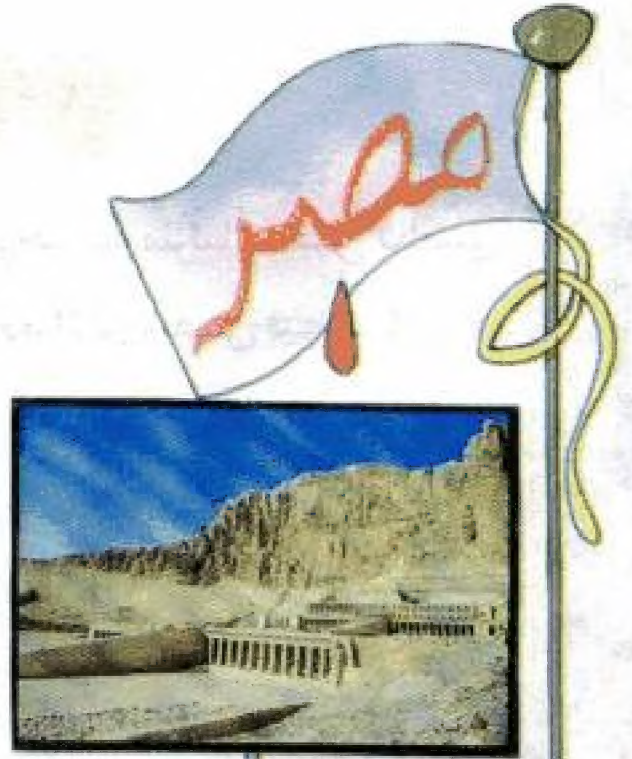
ثم اتجهت مسيرتنا في صمت ، لنضع ورودنا مع دموعنا ، فوق المكان الذي ارتعشت أحجاره من الألم والاستنكار ، في معبد حشيشوت بالدير البحري بالأقصر ، بسبب دماء الأطفال والأمهات والعجائز التي سألت من ضيوف مصر الأبرياء .

وأضافت "بسنت" ، رئيسة اتحاد طلاب مدارس مصر للغات ، قائلة :





"وبغير اتفاقٍ سابقٍ ،  
 وجدنا أنفسنا نشدُ بصوتٍ  
 واحدٍ : " مصرُ هي أمِّي ، نيلها  
 هو دمي ، شمسها في سماري ،  
 شكلها في ملامحي ، حتى  
 لوني قمحي ، لون خيرك يا  
 مصر . "



وكان معنا "فهد" ، الطفلُ  
 الصغيرُ الملتحقُ بفصولِ ذوى  
 الاحتياجاتِ الخاصةِ بمدارسنا ،  
 الذى انفعَلَ بالموقفِ ، فانطلقَ  
 وربما لأول مرةٍ فى حياته ،  
 يهتفُ فى حماسٍ : " تحيا  
 جمهوريةُ مصر العربية " .



وانطلقنا كلنا نرددُ الهتافَ معه ، ونحن لا نستطيعُ السيطرةَ على  
 دموعنا .

ف شكرًا لمديرةِ مدارسنا ، فقد هيأتْ لنا كلَّ الإمكانياتِ للقيام  
 بالزيارةِ والمسيرةِ ، لنعيشَ تلكَ اللحظاتِ التى لا ننساها ، فى حبِّ  
 مصر .



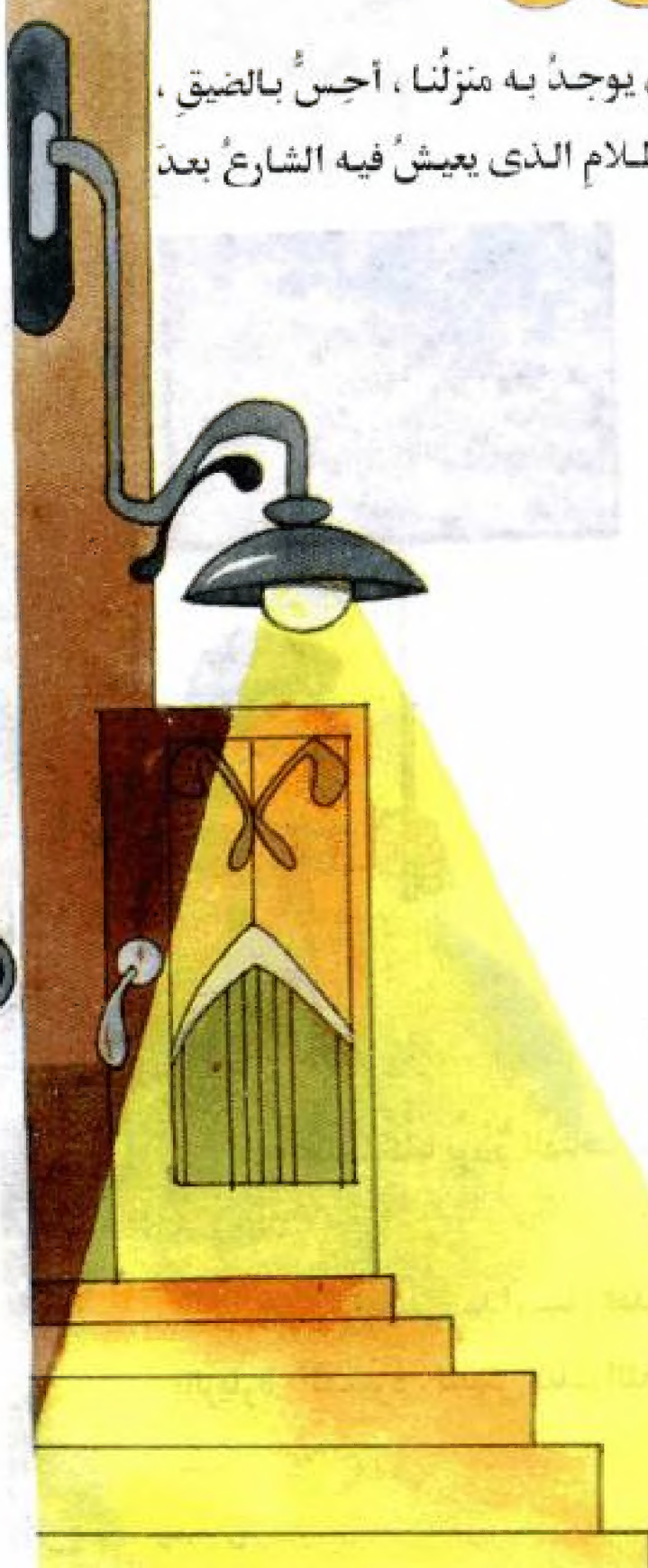
## مصباح أمام كل بيت

كلما أمرُ في الشارع الذي يوجدُ به منزلنا، أحسُّ بالضيقِ ،  
بسببِ ما نجدُ فيه من قمامةٍ ، وللظلام الذي يعيشُ فيه الشارعُ بعدَ  
الغروبِ .

وقد حدثتُ والدي عن  
ذلك ، لكنني وجدتُ مشاغلهُ  
الكثيرةَ لا تسمحُ له بأن يفعلَ  
شيئاً .

ولما كانت لي بعضُ  
الزميلاتِ والصديقاتِ في نفسِ  
شارعنا ، فقد اتفقنا على أن  
نلتقيَ في منزلنا ، للوصولِ إلى  
حلٍّ .

وانتهينا إلى أن تُقنعَ كلُّ  
واحدةٍ منا أسرَتها وجيرانها  
بتدبيرِ مبلغٍ شهريٍّ ، نُكَلِّفُ به  
أحدَ العمالِ ، ليجمعَ القمامةَ  
من بيوتنا ، وأن يُعلّقَ كلُّ منزلٍ  
مصباحاً كهربائياً صغيراً أمامَ  
مدخله .





وقد احتاج الأمر إلى أسبوعين أو ثلاثة ، حتى أصبح الشارع مُضيئاً .

كما وجدنا عاملَ نظافةٍ يعملُ في إحدى المصالح الحكومية ، وافقَ على أن يجمعَ القمامةَ من البيوت في الصباح الباكر ، قبل الذهابِ إلى عمله ، مرةً كلَّ يومين ، على أن تدفعَ له كلُّ أسرةٍ نصفَ جنيهٍ شهرياً .

وأصبحنا من أول المستفيدين بالإضاءة والنظافة في شارعنا .



سمعتُ هذه التجربة من طالبةٍ بالمرحلة الإعدادية ، في لقاءٍ بمكتبة الطفل ، بمقر جمعية الرعاية المتكاملة بأسبوط ، كان موضوعه " تعاون الجهود الأهلية التطوعية ، مع الجهات الحكومية ، في حل مشاكل البيئة " .



اسمى محسن برعى إسماعيل ، عمرى ١٤ سنة .. أسطى  
ميكانيكى سيارات .. بدأتُ العملَ فى الورشةِ وعمرى ٩ سنوات .  
يوميتى ٥ جنيهاتٍ .. إجازتى يومُ الجمعةِ ، ولا أعرفُ الإجازةَ  
السنويةَ .

الورشةُ تفتحُ من التاسعةِ صباحًا إلى التاسعةِ مساءً ، وأحيانًا إلى  
الحاديةِ عشرةِ مساءً .

أعطى والدتى أربعةَ جنيهاتٍ ، وأحتفظُ بالجنيهِ الباقى  
وبالبقشيشِ لمصروفى وملابسى ومواصلاتى .

لى أخٌ وثلاثُ أخواتٍ ، كلُّهم أصغرُ منى . أحيانًا أعطى  
إخوتى مصروفهم ، وهم يطلبون مشورتى فى أشياء كثيرة .

والدى يعملُ فى ورشةِ  
سجادٍ يدوى ، لكن إنتاجه  
قليلٌ لضعفِ صحتهِ .

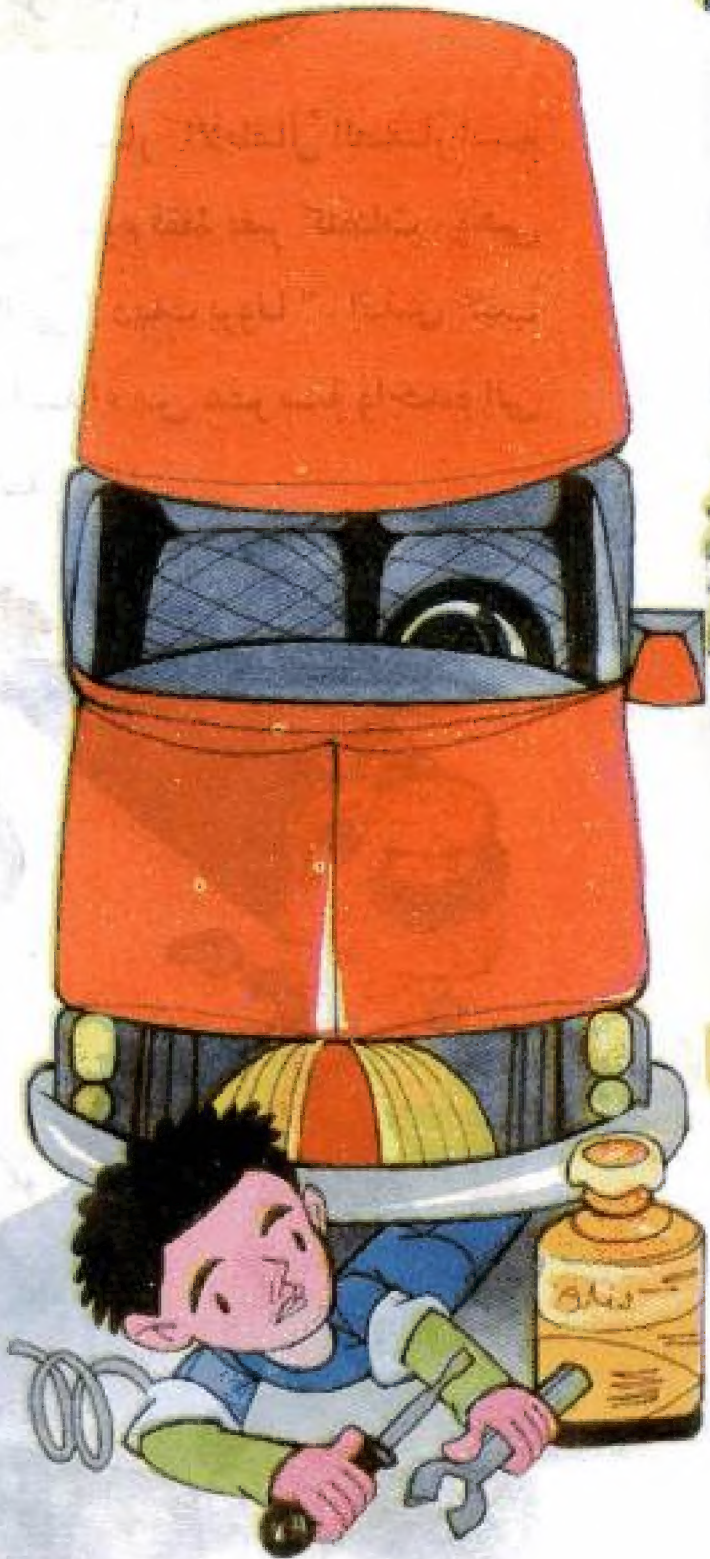
والدتى تهتمُّ بى جدًا ،  
وكثيرًا ما تقدّم لى مع والدى  
أفضلَ ما فى البيتِ من طعامٍ ،  
وبكمياتٍ أكبرَ مما تقدّمه لبقيةِ  
إخوتى ، مع أنهم جميعًا  
يتعلمون فى المدارس .





تسليتي الوحيدة  
مشاهدة التلفزيون ، وأحياناً  
اللعب " بالكوتشينة " مع  
إخوتي . أفضل النوم يوم  
الجمعة ، لأنني لا أنام وقتاً كافياً  
في بقية أيام الأسبوع . لا  
أدخن ولا أعرف أية مكيفات  
أخرى .

أريد أن أتعلّم القراءة ،  
لأقرأ كتب إخوتي التي  
تُعجبني رسوماتها . وأتمنى أن  
ألعب كرة القدم مع جيرانى  
في الحارة ، لكن العائلة تحتاج  
إلى يوميتى وتعتمد عليها .



إنهم يعتبروننى رجلاً منذ طفولتى ، ولم يسمحوا لى أبداً أن  
ألعب مثل بقية الأطفال .. إنهم يروننى دائماً " الأسطى بلية !! "



## ماذا فعل أحمد مع الأراجوز

فى إحدى المكتبات العامة ، اختار الأطفال الصغار اسم أحمد لبطل القصة التى تعتمد على الرسوم فقط بغير كلمات ، وهى قصة رسمها الفنان الهولندى العالمى " ديك برونّا " ، الذى كتب ورسم أكثر من ٨٠ كتاباً للأطفال ، ابتداءً من عمر سنة واحدة إلى ٧ سنوات ، تمت ترجمتها إلى ٣٢ لغة .





قلتُ لهم : " مشى أحمدُ في الشارعِ إلى الروضةِ .. أحمدُ شاف  
الأراجوز اللعبة يقعدُ على الأرضِ وحدهُ .. احتضنَ أحمدُ الأراجوزَ ،  
وأخذه ليلعبَ معه في الروضةِ ، ثم رجعا معًا إلى البيتِ . "  
وعندما طلبتُ من الأطفالِ ابتكارَ خاتمةٍ جديدةٍ للحكايةِ ،  
قالتُ مروة : " أحمدُ عملَ أراجوزةً بنتًا ، نلعبُ مع الأراجوز الذي  
وجدَهُ أحمدُ . "

وقالَ عبدُ الرحمنِ :  
" أحمدُ جمعَ أصحابَهُ في  
حفلةٍ ، ليتعرفوا على  
الأراجوزِ ، ويكونوا كلُّهم  
أصحابًا له . "

وقالتُ إسراءُ :  
" أحمدُ كانتَ عندهُ لعبةٌ  
أخرى على شكلِ أراجوز .  
أعطى أخته واحدةً ،  
واحتفظَ هو بواحدةٍ ،  
يلعبُ مع أخته لعبةً  
مسرحِ العرائسِ . "



أما ماجدة ، وكانتُ أكبرَ الأطفالِ الذين استمعوا إلى الحكايةِ  
فقالتُ : " أحمدُ طلبَ من بابا أن يساعدهُ ليعرفوا مَنْ هو صاحبُ  
الأراجوزِ ، ليذهبوا إليه ، لإعادةِ اللعبةِ إلى صاحبها . "



## أصدقائي قد تغيروا

فى لقاء مع ٣٠٠ من فتيات وفتيان المرحلة الثانوية ، بمدرسة جمال عبد الناصر المشتركة بالقاهرة ، أرسل لى أحد الطلبة سؤالاً مكتوباً يقول فيه : " ما رأيك فى قضية أخلاق الشباب هذه الأيام ؟



لقد أصبحت أجد بعض أصدقائي قد تغيروا كثيراً . كانت أفعالهم مهذبة ، وسلوكهم سليماً بوجه عام . لكنهم الآن لا يتحرجون من تبادل نكات خارجة وحكايات غير مهذبة ، وقد أصبحت أشعر بالحرج والضيق وأنا معهم . "



قُلْتُ لِلْمُتَسَائِلِ : إِنْ بَعْضُ  
الشَّبَابِ الصَّغِيرِ ، يَتَصَوَّرُ أَنَّهُ لَكَى  
يُصْبِحُ الصَّغِيرُ كَبِيرًا ، عَلَيْهِ أَنْ  
يُسْتَخْدَمَ الْفَاطَا خَشَنَةً أَوْ لُغَةً غَيْرَ  
مُهَذَّبَةٍ . لَكِنْ هَذَا فَهْمٌ خَاطِئٌ لَوَاقِعِ  
الْحَيَاةِ . فَالاحْتِرَامُ وَالتَّقْدِيرُ يَكُونَانِ  
بِأَنْ نُوَكِّدَ لِمَنْ حَوْلَنَا أَنَّنَا وَصَلْنَا إِلَى  
مَرَحَلَةِ النُّضْجِ ، بِقُدْرَتِنَا عَلَى تَحْمُلِ  
الْمَسْئُولِيَّةِ ، وَبِالتَّفَكُّيرِ الْمُنْتَظَمِ ،  
وَالسُّلُوكِ الرَّاقِي . وَعَلَيْكَ أَنْ تَجْعَلَ  
أَصْدِقَاءَكَ يَفْهَمُونَ ، بِأَسْلُوبٍ مُهَذَّبٍ ،  
أَنَّكَ لَا تَرْحُبُ بِهَذَا النَّوعِ مِنَ  
الْأَحَادِيثِ . فَمَثَلًا لَا تَضْحَكُ مَعَهُمْ  
عَلَى مَا تَرَى أَنَّهُ غَيْرُ مُنَاسِبٍ مِنْ  
نِكَاتِهِمْ وَأَحَادِيثِهِمْ ، أَوْ حَاوِلْ تَحْوِيلَ  
مَجْرَى الْحَدِيثِ إِلَى مَوْضُوعَاتٍ  
لَاثِقَةٍ .



وَأَحْيَانًا يَكُونُ مِنْ غَيْرِ السَّهْلِ أَنْ تَدَافِعَ عَمَّا تَرَى أَنَّهُ الصَّوَابُ ،  
لَكِنْ الْأَكْثَرُ أَهْمِيَّةً أَنْ تَكُونَ صَادِقًا مَعَ نَفْسِكَ ، وَمُخْلِصًا لِمَا تَرَى أَنَّهُ  
الصَّوَابُ ، أَكْثَرُ مِنْ اِهْتِمَامِكَ بِأَنْ تَفُوزَ بِالْقَبُولِ مِنْ زَمَلَاءٍ يُصِرُّونَ عَلَى  
ارْتِكَابِ الْأَخْطَاءِ .



## صورة .. صورة .. وصورة !!

واحدًا بعد الآخر ، انطلق الأطفال ينزلون على " الزلافة "  
في القاعة المخصصة للأطفال بمطار استكهولم . ومن بينهم طفلة في  
الخامسة ، تضحك في مرح كلما وصلت إلى الأرض ، ثم تعاود صعود  
سلم اللعبة ، لتنزل من جديد بعد بقية الأطفال .





ووقفت والدتها تراقبها في سعادة ، ثم أخرجت آلة تصوير ،  
وطلبت من بقية الأطفال أن يتجمعوا حول ابنتها ، والتقطت لهم  
صورة . ثم التفت نحو زوجها وقالت :

" لماذا لا توجد في كل مطار قاعة مثل هذه ، يجد فيها كل  
طفل أطفالاً آخرين يُشاركونه اللعب إلى أن يجيء ميعاد طائرته ؟ "  
وبعداً بقليل ، دخلت سيدة مع ابنها ، وكانت تتحدث معه  
باللغة العربية . وما إن صعد الابن إلى " الزلافة " حتى بدأت تصوّره  
بآلة فيديو .

لكن طفلة جاءت ووقفت خلف  
الولد ، لتزلق بعده . هنا توقفت الأم عن  
التصوير ، وطلبت من ابنها إبعاد الفتاة ،  
وابتعدت البنت .

ومرة ثانية ، جاء طفل صغير وجلس  
على حافة الزلافة ، فتقدمت الأم  
بنفسها هذه المرة ، وأبعدته .

وأخيراً استأنفت التقاط ما تشاء من  
صور لابنها وحده ، بينما وقف بقية  
الأطفال يتفرجون من بعيد ، على الأم  
التي لا تريد أن يظهر في شريط صورها ،  
في قاعة الألعاب ، إلا ابنها وحده !!





## " ذات الرداء الأحمر " تقول شيئاً جديداً

عندما دخلت ذات الرداء الأحمر بيت جدتها ، كان الضوء خافتاً ، فلم تكتشف أن النائم في الفراش هو الذئب ، بعد أن " ابتلع " الجدة . وتسمع الفتاة سؤالاً : " لماذا تأخرت ؟ "

فتجيب : " قابلت رجلاً ! " ! ثم تصحح ما قالت : " أقصد قابلت ذئباً .. مَنْ قال إن الذئب شرير ؟! لقد سمعتُ منه أحلى الكلام ، بل رقصتُ معه أيضاً . "

هنا يقول الذئب ، الذى تظن الفتاة أنه جدتها : " كنت أنتظرُكِ لتجلسي بجوارى على الفراش ، لأحسَّ بالدفء . " وبعد أن تجلس تسأل :

" لماذا أرى يديكِ كبيرتين ؟ "

فيطوِّقها بذراعه ويقول : " لكى أحتضنكِ بهما . " وعندما تسأل : " ولماذا أسنانكِ كبيرة ؟ "





تكونُ الإجابةُ أن يُخْفِيهَا  
الذئبُ معه تحتَ الغطاءِ وهو  
يبتلعُها !!



ولما جاء الأبُ في الوقتِ المناسبِ ، وأخرجَ الفتاةَ وجدَّتها  
أحياءَ من بطنِ الذئبِ ، تقولُ الجدةُ لحفيديتها : " هذا هو الذئبُ  
اللطيفُ ، الذي لا يشغلُهُ إلا أن يبتلعَ السيداتِ ، ويخدعَ الفتياتِ  
الصغيراتِ " .

عندئذٍ قالتُ إحدى المشاهداتِ للعرضِ المسرحيِّ : " الآنَ  
فهمتُ معنى " الابتلاعِ " الذي تحكى عنه القصةُ . إنها ليستُ حكايةً  
لصغارِ الأطفالِ كما كنتُ أظنُّ ، لهذا قالوا لنا إن هذا العرضَ  
المسرحيَّ مُوجَّهٌ فقط للسنِّ التي أكبرُ من ٩ سنواتٍ . "  
وكانتُ تقصدُ العرضَ الذي قدمهُ " فريقُ مسرحِ الطفلِ  
المصريِّ السويسريِّ " ، على مسرحِ قصرِ ثقافةِ الطفلِ بالقاهرة .



## أخاف أن أفقد أختي

التحقت أختي هذا العام بكلية الطب ، وتركنتي في السنة الأولى الثانوية ، بالمدرسة التي قضينا فيها سنوات دراستنا منذ السنة الأولى الإعدادية . لم نكن نفترق أبداً ، حتى عندما تركنتي في مدرستنا الابتدائية ، إلى أن لحقت بها في المدرسة التي قضينا فيها المرحلة الإعدادية ، وأبدأ فيها الآن المرحلة الثانوية .

أما الآن ، فأشعر أن أختي تبتعد عني . لم نعد نرافق بعضنا في الطريق صباحاً أو بعد الظهر ، ومواعيد محاضراتها تجعلني لا أكاد أراها في البيت ، وزميلاتها في الكلية يشغلن بقية وقتها في تبادل كراسات المحاضرات أو في التليفون .

أشعر أنني أفقد أختي يوماً بعد يوم .

وإلى صاحبة هذه الرسالة ، أقول إنه من الطبيعي أن تجد أختك صداقات جديدة بالجامعة ، لكن ليس معنى هذا حدوث أي تغيير في مشاعرنا نحوك . والتحاقها قبلك بالجامعة ، سيساعدك على أن تعرفي مقدماً ما الذي ينتظرك عندما تنتقلين إلى مرحلة الدراسة بالجامعة .

وأقترح عليك أن تحاولي مناقشة مخاوفك مع أختك . اختاري وقتاً يسمح بأن تنفردى فيه بالحديث معها ، وقولي لها إنك تخافين أن تفقديها . وأنا واثق أنك ستكتشفين أنه من الممكن أن تظل صداقتكما كما هي ، مهما تقدّم بكما العمر .